

الجهود الإصلاحية والتعليمية للشيخ محمد الأمين بن فال الخير الحسني الشنقيطي

The reform efforts of Muhamad Al-AMIN BIN FAL AL KHAIR AL-HASSANI AL-SHINQITI

د. بوها محمد عبد الله سيدي *

المعهد العالي للبحوث والدراسات الإسلامية -موريتانيا-

elmaraghisi07@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/07/28 تاريخ القبول: 2025/11/30 تاريخ النشر: 2026/01/01

الملخص:

محمد الأمين بن فال الخير الحسني الشنقيطي علامة ومربي ومصلح، كرس حياته لطب العلم و التعليم وإصلاح المجتمع المسلم. خرج للاستزادة من العلم من موطنه الأصلي شنقيط قبل دخول المستعمر وبعد أن أمضى سنين بين الحواضر العلمية المختلفة، فكر في العودة لبلاده، فوجد المستعمر قد حل بها، فعدل عن فكرته وأخذ بالفتوى القائلة بضرورة الخروج عند دخول النصاري المستعمرين، وهي فتوى سمعت في القطر الشنقيطي وتردد صداها في الحواضر والأرياف، فبدأ الشيخ يبحث عن مكان لإقامة مشروعه التعليمي والإصلاحي الكبير.

وقد وجد ابن فال الخير لمشروعه التعليمي والتربوي أرضية صالحة في مدينة الزبير بالعراق، ليستقر بها ويبدأ نشاطه الإصلاحي، ولتتحول عقبة الاستعمار التي حالت بينه والرجوع لبلاده إلى حافز دفع له للنهوض بالأجيال و تكوينهم التكوين المدافع عن الهوية بالقول والفعل، فأسس مدرسة النجاة بالزبير و خرج أجيالا من العلماء والساسة و قاوم الاستعمار البريطاني مقاومة ثقافية، بخطبه وفتاياه و ثبتت مشاركته في بعض المعارك ضده، وسنحاول في هذه الورقة الوقوف عند بعض إسهامات الرجل وجهوده الإصلاحية.

الكلمات المفتاحية: الجهود الإصلاحية، بلاد شنقيط، ابن فال الخير الحسني،

Abstract:

This study aims to highlight the efforts of Muhammed bin Fal al-khair al-Hassani al-shinqiti in the field of education and training, representing the shinqiti scientific Embqssy in Iraq.

Keyword: Ibn fal al-khair, Al- Hassani, Al-shinqiti.

مقدمة:

أخذت بلاد شنقيط¹ هذا الاسم من المدينة شنقيط التي كانت منطلق الحجيج من البلاد إلى الديار المقدسة وقد عرف الركب الشنقيطي بسعة علم الوافدين فيه خاصة في العلوم الشرعية واللغوية فأطلق عليهم الشناقطة تميزا لهم عن غيرهم وتحديدًا لنمط من المعرفة يعتمد على الموسوعية العلمية وقوة الحفظ.

ويرى الخليل النحوي أن هذه التسمية أطلقت على البلاد بعد تأسيس المدينة واكسبتها شهرة كمدينة علمية، وأن أصل الكلمة بربري أو صنهاجي وأن من فسروه قالوا إن المعنى الحقيقي للكلمة هو "عيون الخيل" ومنهم العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، وهناك من قال بعربيتها وأن أصلها هو "سن قيط" أي طرف جبل "قيط"².

وقد شاع العلم في هذه البلاد خلال قرون عديدة، إلا أن القرون الثلاث: 12 و13 وحتى 14 هجرية شكلوا أكثر هذه القرون انتشارًا للعلم وظهورًا لنوابغ العلماء المتبحرين في العلوم التي كانت معروفة في المنطقة.

فللعلماء الشناقطة جهود تعليمية وتربوية تجلت في مقرراتهم المحظية، في محاضرتهم القارة والمتنقلة، حيث استطاعوا من خلالها أن يتكيفوا مع بيئتهم الصحراوية والصعبة فجعلوها مدرسة متنقلة على ظهور العيس، يقول ابن بونا:

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الله تبيانًا

وهذه الظاهرة تظهر شغف الشناقطة وحُبهم لطلب العلم، وحرصهم على التعليم، وقلبت أيضًا المقولة الحضارية مسلم بها، أن العلم حضري.

كما أن للعلماء الشناقطة حضور وتميز في المشرق، جسده علماء أفذاذ مثل العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (1152هـ-1233هـ) صاحب مراقي السعود، الذي كان له حضور

مشهور في المشرق والمغرب وكانت للعلامة مجالس مشهودة مع السلطان المغربي العالم سيدي محمد بن عبد الله، وغيره.

وكذلك العلامة محمد محمود بن التلاميذ (1254-1322هـ) الذي عرف بسعة علمه وفرادة عبقريته وعمق طرحه فذاع صيته وأفسح له في المجالس وفتحت له المكتبات الخاصة وأسند إليه تكليف من قبل السلطان العثماني في سفارة إلى أوروبا ممثلاً للدولة في أحد المؤتمرات الاستشرافية كما أخذ تكليفاً آخر يتعلق بفهرسة مكتبات الأندلس وفحص مخطوطاتها.

وليس وحده ابن التلاميذ فهناك أبناء مايايا وبخاصة محمد الأمين بن محمد الخضر بن مايايا (1905-1990م) الذي ذاع صيته في الآفاق وانتشر علمه، وتفتن حكام الأردن لعلمه وحكمته وحنكته، فولي منصب قاضي القضاة، وهو الذي ألف عنه الكاتب الأردني جعفر العقيلي كتاباً حول جهوده الإصلاحية والتعليمية. وليس ببعيد عنهم حضور أحمد بن الأمين صاحب الوسيط (1872-1913م) في الحواضر العلمية في المشرق العربي وفي قازان وتركيا وهو من تصدى للرد على المستشرق الهولندي في كتابه طهارة العرب.

وكذلك العلامة محمد الأمين الشنقيطي (1325-1393هـ) صاحب كتاب أضواء البيان. وليس ببعيد عن هذه الكوكبة صاحبنا محمد الأمين ابن فال الخير (1293-1351هـ) الحسني العالم والمصلح والمجاهد الذي بدأ تعليمه مع المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، وهما من محددات الهوية الشنقيطية، وبعد أن تضلع في المذهب المالكي، أخذ علم الحديث، والتفسير.

وتعد دراسة الجهود الإصلاحية لابن فال الخير موضوعاً يحتاج إلى مزيد من التنقيب والبحث نظراً لإسهامات الرجل خاصة أنه لم يترك مؤلفات، باستثناء كتاب كتب فيه بعض مذكراته وأكمل بعد، تحدث فيها عن بعض المواقف التي مر بها، ولذلك ما يبرره، فالرجل طول عمره كان ساعياً للعمل، والبناء، فلم تترك له المنابر، والمدارس، والمجالس العلمية، فسحة من الوقت للتأليف، كما أنه لم يحظ حسب اعتقادنا بدراسات شاملة حول جهوده الإصلاحية، باستثناء العمل الجبار والوحيد الذي ألفه المؤرخ والشاعر العراقي: عبد اللطيف الدليشي الخالدي، ووسمه بعنوان: "من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة محمد الأمين الشنقيطي"، وقد جمع شهادات ممن عاصر الشيخ وأخذ عنه، حيث تتبع جهوده التربوية والتعليمية ومشاركته في الجهاد ضد البريطانيين، وهناك مراجع أخرى أشارت له بشكل مقتضب في سياق حضور الشناقطة في المشرق وتعتمد على المرجع نفسه.

ونحن هنا نعتمد أيضا وبالأساس في مادتنا المصدرية على هذا المرجع الوحيد دون أن تكون قراءة في الكتاب لأسباب موضوعية منها أن الكتاب شمل جانب عدة من بينها : ذكر للتاريخ الموريتاني: أصول السكان، الجغرافيا، وكذلك العديد من نصوص التراث الأدبية، وتحقيق بعض القضايا التي لا تمت بصلة مباشرة للجزئية البحثية التي اخترناها لهذا المقال، ومع ذلك نعتبره المصدر الأبرز لأي دراسة حول تاريخ الشيخ، ولأهمية هذا الموضوع كذلك كنا قد وجهنا إحدى طالباتنا -في بحثها لنيل شهادة الماستر- إلى دراسة جهود الشيخ ابن فال الخير وأشرفنا عليه، حيث قدمت قراءة مهمة تسهم إلى جانب مؤلف عبد اللطيف الدليشي - الذي هو المرجع الوحيد كما أسلفنا- في تشكيل مراجع حول إسهامات الشيخ المتعددة.

تتناول هذه الدراسة التجربة الإصلاحية لابن فال الخير معتمدة المنهج التاريخي والوصفي في تتبع مسارة التجربة.

1.حياته العلمية:

1.1 : حياته:

شهدت نهاية 19م وبداية القرن 20 ظهور المستعمر الفرنسي الذي فرض سيطرته على المنطقة بعد ولادة الشيخ ب 27 أو 28 سنة أي أنه إبان طلوع المستعمر كان شابا يافعا إذ ولد العلامة الشيخ محمد الأمين بن فال الخير المكنى (أبو يوسف) أو (أبو عائشة) (في سنة 1293هـ- 1876م³، ولا يعرف بالتحديد مكان ميلاده وكانت عادة الشناقطة أن يبدأ الطفل الدراسة على إحدى النساء حتى يتجاوز مرحلة التهجي، ولا بد أن الشيخ بن فال الخير قد مر بهذه المرحلة، وإن كان أول ذكر لشيخه، بدأ بخاله محمد بن عبد الله، وقد حفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، وهي مسألة دأب عليها أهل القطر، خاصة الذين يولدون في محيط علمي كحال صاحبنا، وبعد خاله درس على عديد الفقهاء، فتنقل إلى العلامة محمد بن بنيامين الذي قال عنه أنه أكثر شيوخه نفعا له، ثم درس على عبدالله بن حمين، وأكثر ما قرأ عليه اللغة وعلومها. كما درس على الشيخ عبد القادر المجلسي، فعلى هؤلاء درس العلوم المعروفة في المحاضرة الشنقيطية قبل أن ينطلق في رحلته العلمية إلى خارج البلاد. وحين اكتملت سيطرة الاحتلال الفرنسي على البلاد، قرر أن لا يعود إليها، وكأنه بذلك يأخذ برأي من رأي الهجرة⁴ والخروج عن البلاد التي يسيطر عليها المخالفون في الملة، إن تعثر صدهم عنها، فاستقر في بلاد الحرمين برهة، يدرس، ويدرس، ويتبادل مسائل العلم، وقضاياها، مع كبار

العلماء، والمشايخ، وكان واعظا، ومرشدا، ومعلما. وحول صفاته سنورد شهادة تلميذه، وصديقه، مدير مدرسة النجاة بعده، حيث يقول: (كان رحمه عالما فاضلا وإماما في اللغة عالما بالشعر يحفظ الدواوين السبعة وكثيرا من شعر الجاهليين، والإسلاميين، كما كانت له اليد الطولى في علم الأنساب ويروى كتب الصحاح في الحديث ودرس علم أصول الحديث وأصول الفقه ويضيف كان كريما يؤثر على نفسه لا يرد حاجة محتاج يستطيع قضاءها لا يمسك سوى كتبه، حليم لا يستفزه جهل جاهل، شجاع لا تنال منه المصائب والنواب رحب الصدر... الخ) تزوج لؤلؤة بنت السلطان من أهل الزبير وأنجبت له ثلاث من البنين وأربعة من البنات⁵.

2.1 رحلته إلى المشرق:

لما تزود الشيخ محمد الأمين بن فال الخير من العلوم المحظية وبرع في شتى فنونها، تاقت نفسه إلى المزيد من العلم، وقرر أن يتجه نحو المغرب والتي كانت بداية الرحلة لكثير من علماء هذه البلاد نحو بلاد المغرب والمشرق والحجاز فكانت بداية رحلته سنة 1318 هـ، فزار عددا من المدن المغربية كالصويرة ومراكش والدار البيضاء ورباط الفتح وطنجة ولم يلبث في كل منها إلا فترة وجيزة، وكان على تواصل مع كل من يزور المغرب من علماء بلاده وقد لقي في المغرب صديقه الشاعر محمد النشني أحد تلاميذ الشيخ ماء العينين وكان يلقب بالبسيطي⁶، ثم ليواصل رحلته باتجاه مصر سنة 1318 هـ، وبها لقي العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي — الذي سبقت الإشارة إليه — فاستقبله ورحب به واصطحبه إلى الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حينها فرحب به ثم حجز له في جامع الأزهر مكانا وفي أواخر محرم من سنة 1319 هـ توجه إلى مكة محرما بالحج ثم عاد إلى جدة ومنها إلى المدينة وهناك أصيب بالحمل وطالت إصابته بها وظل يعاني منها لسنتين تقريبا ومع ذلك كان يحضر دروس العلم حيث درس حديث البخاري على يد الشيخ علي ظاهر الوتري البغدادي⁷ ودرس الفقه على علماء مغاربة وتردد على الشيخ عبد الجليل برادة⁸ وتوجه إلى مكة التي كان ينوي منها العودة إلى بلاده لولا أن المرض أقعد شيخه وصديق والده الشيخ أحمد سالم بن الحسن الديماني والذي كان قد درسه جانبا كبيرا من كتاب أقرب المسالك ومنظومة البدوي الشنقيطي في أنساب العرب، وغيرها، وبعد وفاة الشيخ أحمد سالم توجه بن فال الخير إلى العلامة أبي شعيب بن عبد الرحمن الدكالي⁹ ودرس عليه ألفية بن مالك ورسالة ابن أبي زيد

القيرواني وبعض أبواب مختصر خليل ، ثم عاد حلم العودة إلى بلاده يراوده فعلم باحتلالها من طرف الفرنسيين فأزعم المقام في مكة¹⁰.

في سنة 1326هـ وبعد رحيل شيخه شعيب توجه الشيخ بن فال الخير إلى الهند حيث لقي الشيخ عبد الوهاب الزباني من أهل البحرين وقصد بعد ذلك عمان ومنها توجه إلى البحرين ثم الأحساء فنزل عند مدرسة الشيخ أبي بكر وداوم على دروس الشيخ عيسى بن عكاس ودرس عليه كتاب بلوغ المرام ومنتقى الأخبار ، كما أخذ عن الشيخ عبد العزيز بن مبارك ثم توجه إلى الزبير في العراق في صفر من سنة 1327 هـ بعد أن جاءته رسالة من شيخه الدكالي بالذهاب إلى البصرة لتولي مدرستها ومسجدها بدلا منه، لم يجد بن فال الخير بدا من تلبية طلب شيخه، فسافر صحبة الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك من الأحساء إلى البحرين، وفي طريقه إلى الزبير نزل على الشيخ عبد الوهاب الزباني الذي تعرف عليه من قبل في الهند، ثم قصد الكويت وفيها بلغه خبر وفاة الشيخ مزعل السعدون، فأراد الرجوع غير أن عبد العزيز ألح عليه بالمواصلة، وعند وصوله وجد أن وصيا الشيخ مزعل قد وضع رجلا مغربيا في المدرسة والمسجد، فنزل ضيفا على علي بن عبد الله بن عبد الرحمن البسام، وكان ينوي الرحيل إلى مكة، ولكن بعض الطلبة طلبوا منه أن يدرسهم بعض الدروس، هم في أمس الحاجة إليها فلما لاحظ أهل المدينة سعة علمه، وعمق فهمه، وحسن منهجه، طلبوا منه أن يقيم بينهم خدمة للعلم والدين، وبعد إلحاح كبير عدل الشيخ بن فال الخير عن الرحيل، وقرر الإقامة في مدينة الزبير، واستمر في التدريس والوعظ والإرشاد فما لبث أن طار ذكره، وتسابق الناس لحضور دروسه، وإرشاداته، فضاق المسجد بهم حتى صاروا يجلسون خارجه تحت أشعة شمس الصيف الحارقة، وفي شدة البرد شتاء، كل ذلك لمتابعة دروس الشيخ بن فال الخير الذي شكل مرحلة مضيئة من مراحل الإرشاد والتوجيه والتدريس حتى شاع خبره في المنطقة¹¹.

2. جهوده الإصلاحية والتربوية وجهاده:

1.2 جهوده التربوية والتعليمية:

كان للشيخ ابن فال الخير حضور مشهود من خلال كراسيه العلمية في عديد المساجد والجمعيات المختلفة، فقد دعاه مؤسس الجمعية الخيرية الكويتية فرحان الفهد الخالد الخضير إلى الكويت فأصبح مدرسا للحديث والفقه ومرشدا بهمة ونشاط، منكرا للمنكرات،

داعيا إلى الحرية الفكرية وإصلاح العقيدة، رافعا لشعار: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا المنهج حرص الشنقيطي على الالتزام به، وقد لقي قبولا منقطع النظير، في الشارع الكويتي حتى ضاق به حاكم الكويت حينها الشيخ مبارك الصباح، وخاف أن يقوم بالدعاية للخلافة العثمانية، فأمر بطرده من الكويت وتم إغلاق الجمعية الخيرية 1331 هـ - 1914 م لكن ابن فال الخير ظل متمسكا بأسلوبه، ولم يكن يخفي موقفه من الخلافة العثمانية، وبعد طرده توجه بن فال الخير إلى الزبير¹²، حاملا معه مشروعه الفكري والتربوي، بعد أن نشر منهجه في الجمعية الخيرية و بين الطلاب والمفكرين في الكويت.

بعد أن استقر المقام بالشيخ ابن فال الخير في مدينة الزبير سعى إلى تأسيس جمعية ومدرسة النجاة، فكانت البداية سنة 1340 هـ - 1921 م فتشكلت هيئة إدارية تقوم على تأسيس الجمعية، يرأسها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بمعونة نخبة من أهل العلم بينهم ناصر الأحمد والشيخ محمد العافي والشيخ أحمد الدايل والشيخ عبد الرزاق الدايل الحاج سليمان السويديان والشيخ محمد السند¹³ وانتخبت الهيئة لجنتين :

● الأولى تعنى بتنقيح نظام الجمعية وتتكون من عبد الوهاب الطباطبائي والشيخ ناصر الأحمد والشيخ محمد العسافي والحاج سليمان السويديان.

● والثانية تعنى بتنقيح نظام التعليم في المدرسة وتتكون من الشيخ ومحمد الأمين الشنقيطي والشيخ ناصر الأحمد والشيخ محمد السند والشيخ محمد العوجان وفي سنة 1922 مصادقت وزارة الداخلية على نظام الجمعية وصادقت وزارة المعارف على نظام التدريس فيها وتم تعديل نظام الجمعية بعد ذلك وصودق عليه سنة 1949 م وفي سنة 1954 م حيث صدر مرسوم بحل الجمعيات حيث اعتبرت جمعية النجاة من المنافع العامة¹⁴. وتم الترخيص لها من طرف وزارة الداخلية العراقية (1342-1922 م). وبعد الترخيص للجمعية أعد القائمون عليها طلبا لترخيص مدرسة تابعة لها ضمن منهجها التأسيسي باسم -مدرسة النجاة الأهلية- فحصلت على الإذن بذلك في (8) كانون الثاني من سنة (1923 م)، فجمعت لها التبرعات الكثيرة¹⁵.

بدأت الجمعية التدريس في مقر استأجره وأثنه الشيخ أحمد المشاري إبراهيم وتم تعيين مدرس مساعد للشيخ الشنقيطي وهو عبد الرزاق الدايل الذي نقل تلاميذه إليها، وبعد وقت قصير التحق بالمدرسة العديد من المعلمين نتيجة إقبال الناس عليها حيث التحق بها

الشيخ احمد خميس والشيخ علي السبيعي والشيخ احمد العوفج... إلخ وبعد توسع المدرسة وتزايد أعداد طلابها اشترت الهيئة المشرفة عليها أرضا شيد عليه المقرر الجديد للمدرسة، وتزايدت أعداد الطلاب ففي سنة 1341هـ افتتحت السنة الدراسية ب 300 طالب و10 معلمين، وفي إطار تغطية نفقات المدرسة فقد كانت تقام أنشطة سنوية لجمع التبرعات، وفي نفس المسعى تحصلت على فتوى تجيز صرف الزكاة لصالحها¹⁶.

وقد فتح نجاح مدرسة النجاة على الشيخ بن فال الخير بابا من الاستهدافات دارت تارة حول حرمة تدريس بعض المواد التطبيقية، وأحيانا حول تدريس الفتيات، فكان الشيخ يدرس العلوم الشرعية واللغوية وبعض العلوم الأخرى كالتاريخ والجغرافيا وعلوم الفلك وغيرها¹⁷، كما كان من حسنات مدرسته أن فتحت الباب أمام الفتيات لولوج تعليم ملتزم بالأخلاق والآداب ويرفع من شأنها في المجتمع، وبذلك صار عطاء مدرسة النجاة مشهودا، جعله الله في ميزان حسنات الشيخ بن فال الخير وإخوانه¹⁸.

ومن ثمرات هذه المدرسة أن تخرجت منها نخبة من العلماء والمفكرين والساسة نذكر منهم: الدكاترة عبد الله وعبد العزيز وعبد الرحمن أبناء السيد إبراهيم البسام، والمحامي عبد الرزاق الحمود الذي كان نائبا في البرلمان العراقي... والأستاذ عبد الله الشبل الذي شغل عدة مناصب إدارية في مديرية الشرطة العامة، والشيخ ناصر الأحمد الذي تولى إدارة المدرسة بعد وفاة أستاذه الشنقيطي، والشيخ محمد العسافي، والأستاذ أحمد الحمد الصالح وغيرهم كثيرون ممن شغلوا مناصب القضاء الشرعي في المملكة العربية السعودية والخليج العربي والأردن¹⁹.

ونذكر هنا أن بن فال الخير مع تضلعه في المذهب المالكي، وملازمته للمحدثين وللمفسرين، ومع مسيرته العلمية الطويلة ومراجعاته للعلماء فقد أعجب بمنهج ابن تيمية وابن القيم ومنهج ابن كثير و تجديد محمد بن عبد الوهاب وعلى نهجهم سار ابن فال الخير في وعظه وإرشاده وتدرسه في مدينة الزبير، ملتزما بالكتاب والسنة ونهج السلف الصالح²⁰

2.2 جهوده في الصحوة ومقاومة المستعمر:

وبهذا الفكر التجديدي خرج ابن فال الخير على المنهج التقليدي السائد في مدينة الزبير وبدأ يدعو إلى نهج السنة النبوية الصحيحة وينهى عن العادات المنافية للشرع والمعاملات المخالفة له، محذرا من انتهاك حرمان الله، فنهى عن الاختلاط، رغم أنه في المقابل أول من أفق بتعليم

البنات وفسح أمامهم أبواب مدرسته، كما أنه نهى عن التوسل بالقبور، وتقديم القرابين لها والنذر لأرواح الصالحين، ونسب ذلك إلى الجهل بتعاليم الإسلام وألقى باللوم على العلماء في عدم تثقيف العامة، وشجع الإنفاق على المدارس الدينية. وبذلك لاقت آراء الشيخ صدى في نفوس العامة، وبعد هذا الإقبال اللافت على الشيخ استشير مدير ناحية الزبير الشيخ محمد بن عوجان وهو عالم تقي ورع عن الشنقيطي فأثنى عليه الشيخ عوجان وقال عنه أنه ينشر الإسلام الصحيح²¹.

وكان للشيخ حضور لافت في سوح الجهاد، بالفتوى والصدع بالحق والوقوف في وجه المستعمر، فتمت مضايقته و متابعته وطرده والاعتداء عليه أحيانا أخرى، ومن تلك المواقف بعد أن دعت الجمعية الكويتية للتدريس والوعظ، أثار خطابه حساسية الساسة، وظهرت قوة الشيخ بن فال الخير وشجاعته حيث وقف ضد دعوة الأمير الكويتي إلى قمع الثوار من الشعب الذين ناصروا الجيش العثماني، ودافع عن موقفه بالحجة، والبرهان، وهو ما جعل البريطانيين يكيدون له، ولكن الله نجاه إذ أدرك بحدة ذكائه ما يراد به، فخرج بعون مجموعة من أصحابه متخفيا إلى مدينة الزبير.²²

وفي البصرة بدأ يدعو إلى الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الخلافة الإسلامية وصعد الغزاة، هذه الدعوة كان لها صدى في نفوس الناس والعلماء، فاصدر تجمع المشيخة الإسلامية فتوى تدعو إلى الجهاد في سبيل الله، وتجمع الروايات الموجودة حول جهاد بن فال الخير، إذ تشير بعض الروايات إلى مشاركته في معارك البصرة؛ حيث يذكر أنه شارك في بعض هذه المعارك؛ إذ لم يتوقف دوره على رفع همم المجاهدين، وتذكيرهم بما وعد الله به الشهداء، إنما شارك مشاركة فعالة في حركة إعلان الجهاد الإسلامي، وتبيان الموقف الشرعي للعلماء، وإرسال رسائل إليهم في شتى بقاع العالم الإسلامي، بضرورة نصرته ثغر البصرة، والجهاد ضد الإنجليز، وهو ما لقي استجابة، سبق وأشرنا إليها فكان إجماع المشيخة على وجوب الجهاد²³.

وقد أكد لنا عبد اللطيف الدليشي الخالدي مشاركته الفعلية في معركة الشعبية تحديدا واحتمالية مشاركته في غيرها، والمؤكد أنه شارك فيها جميعا، بالفتوى والخطب لشحن الهمم، يقول الدليشي: "وإن كان اشتراك الشنقيطي في المعارك الساحلية لم يتأيد بصورة قطعية، فإن اشتراكه في معركة الشعبية كان أمرا محققا بالإجماع، كما ذكر في مقال الأستاذ الشملان، وفي تاريخ الكويت في الصفحة (188) وما أكدته تلميذه الشيخ محمد العساف، وكما

أشار إلى ذلك الدكتور علي الورد في الصفحة (148) في الجزء الرابع من كتابه لمحات اجتماعية، ويؤكد شهود العيان أن الشنقيطي اشترك في معركة الشعبية مجاهدا بيده وهو يحمل البندقية، وبلسانه وهو يناشد المجاهدين الصديق في القتال والثبات في اللقاء، وكان كأحد المجاهدين في معية الشيخ عجمي السعدون²⁴

ولم تقتصر محاولات لبريطانيين لاعتقاله واسكات صوته على العراق أو الكويت، فقد راسلوا الملك عبد العزيز آل سعود يطلبون تسليم الشنقيطي في القصيم يقول: الدليشي: "...كان من عادة الملك عبد العزيز السعود عندما يأتي إلى القصيم يزور محمد الشبيلي في داره، وعند زيارته له هذه المرة، وجد الشيخ الشنقيطي عنده في مجلسه، فرحب به، وآثره برضاه، وأثنى على علمه وتقاه...لذا فقد راح الملك يحدث الشبيلي (معرضا) والشنقيطي يسمع - بأن الإنجليز قد كتبوا له طالبين تسليم الشنقيطي لهم، وطلب إلى الشبيلي أن يستطلع رأي الشنقيطي بذلك فعرض الشبيلي الأمر عليه بحضور الملك، ولكن الشنقيطي لم يرتبك ولم تبد عليه أي أثر من الغضب أو الانفعال، أو الخوف أو التأثر، أو طلب الحماية، أو ما أشبه ذلك، بل أجاب برباطة جأش، وهدوء قائل: الرأي، رأي صاحب الجلالة، وله الحق في اتخاذ ما يراه الأصلح لسياسة بلاده، وشؤون مملكته، ولا لوم عليه في كل ما يفعل من أجل ذلك، فابتسم الملك، معجبا بشجاعته، ثم طمأنه بأنه أجاب الإنجليز بعدم الموافقة على تسليمه مهما كلف الأمر..."²⁵.

وبعد مسيرة حافلة بالعطاء المعرفي والإصلاح الفكري و المجتمعي، وجهاد ضد المستعمر وتحديدا في يوم الجمعة 14 جماد الثاني 1351هـ الموافق 13 أكتوبر 1932م توفي في مدينة الزبير، بعد أن أسهم في نهضتها وتكوين أجيالها ومقاومة مستعمرها، رحمه الله تعالى.

الخاتمة :

وختما يمكن أن نجمل جهود محمد الأمين بن فال الخير الحسني في أبعاد ثلاث، البعد التعليمي وهو المتجسد في سعيه لإنشاء جمعية ثم مدرسة وفق منهج تربوية خاص، زواج فيه بين العلوم الشرعية وبعض العلوم الحديثة، وهو ما يمكن أن يطلق عليه "محاضرة" عصرية. والبعد الثاني هو بعد اجتماعي كانت وسيلته الخطب والفتاوى، شحذ من خلالها الهمم و نهض بالقيم، وجعل المشروع الإصلاحي مشروع الجميع، حيث يشارك الجميع في عمارة المساجد وتمويل المدرسة وأنشطة الجمعية، فضلا عن تغيير العقلليات وبناء الثقة في المرأة،

فمنع الاختلاط ودعا لتعليم البنات وفتح أمامهن الأقسام للتمدرس لأول مرة في الزبير وفي العراق عموما وربما في المنطقة. والبعد الثالث البعد الجهادي فالشيخ عمل على مقارعة الاستعمار ووقف في وجهه وعارض من تعاملوا معه، وشارك بنفسه في بعض المعارك فكان عند الناس عالما مجددا صادقا في أقواله وأفعاله رحمه الله تعالى.

وفي ختام هذا المقال نقترح أن تُدرس وتُدرس تجربة ابن فال الخير في التعليم والتربية في مجتمعاتنا، وتدرج في مقررتنا ومناهجنا لتلهم الجيل المعاصر ليحافظ على الهوية الإسلامية الجامعة في وجه أي غزو أجنبي.

المراجع:

- الوسيط في تراجم أدياء شنقيط،:أحمد بن الأمين الشنقيطي.
- بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي.
- من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة محمد الأمين الشنقيطي، عبد اللطيف الدليشي الخالدي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ط:1، سنة:1401هـ/1981م
- المجموعة الكبرى لفتاوي غرب الصحراء، ولد البراء، ج2،
- الجهود الإصلاحية للعلامة الشيخ محمد بن فال الخير الحسني، مانه يوسف، بحث تخرج ماستر التاريخ والحضارة بالمعهد العالي، 2023-2024

¹: عرفت ببلاد شنقيط نسبة إلى مدينة شنقيط التاريخية في شمال البلاد وهي منطقة تجمع للحجاج من غرب إفريقيا عامة وموريتانيا خاصة، وقد تأسست هذه المدينة سنة 800هـ، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط،:محمد بن الأمين الشنقيطي ص:412

²: بلاد شنقيط المنارة والرباط، سابق، ص:72. .

³: من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة محمد الأمين الشنقيطي، عبد اللطيف الدليشي الخالدي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ط:1، سنة:1401هـ/1981م ص:11.

⁴: من أمثلة ذلك فتوي الشيخ الخضر بن سيدي عبد الله بن أحمد(مايبا) ت:1354هـ-1935م، فقيه ومحدث، كان من الذاهبين إلى وجوب الجهاد أو الهجرة عن البلاد التي احتلها الفرنسيون، المجموعة الكبرى لفتاوي غرب الصحراء، ولد البراء، ج2، ص:213

⁵: من أعلام الفكر الإسلام، سابق، ص:13-14-15-16.

⁶: لكثرة شعره في بحر البسيط.

⁷ :محدث المدينة في عصره، ويذكر صاحب الوسيط قصة وقع له أي الوتري مع بن التلاميذ، الذي كان هو الآخر يحضر مجلسه، ص:382.

⁸ :عاش بين:1240-1327هـ

⁹ :فقيه محدث مغربي عاش بين:1295-1356هـ، تولى الخطابة في الحرم المكي، وكان يفتي في المذاهب الأربعة رحمه الله تعالى.

¹⁰ :من أعلام الفكر الإسلام في البصرة، سابق، ص ص:65 حتى 83.

¹¹ :السابق:88 حتى 93.

¹² : نفسه، ص:103-106.

¹³ :من أعلام البصرة...ص:177

¹⁴ :الجهود الإصلاحية للعلامة بن فال الخير، رسالة ماستر مرجع سابق، ص:50

¹⁵ : من أعلام الفكر الإسلامي البصرة:177.

¹⁶ :نفسه، ص:178.

¹⁷ :نفسه، ص:170-173

¹⁸ :من أعلام البصرة، ص:180.

¹⁹ :من أعلام البصرة، ص:179

²⁰ :من أعلام البصرة، ص:97.

²¹ :الجهود الإصلاحية للعلامة الشيخ محمد بن فال الخير الحسني، مانه يوسف، بحث تخرج ماستر التاريخ

والحضارة بالمعهد العالي، 2023-2024، أشرفنا عليه، ص:45-47.

²² : من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، سابق، ص:103-106.

²³ :الجهود الإصلاحية للعلامة محمد بن فال الخير، سابق، ص:60

²⁴ :من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، ص:139.

²⁵ :نفسه، ص:146